

السبت 04-10-2008

400-تحتمة (الأمـل)

هذه هي أصل التعتة التي أقتطفنا منها فقرة أول أيام العيد (الأربعاء)،

ننشرها كاملة، ونعتذر لما جاء من إعادة.

.. الحق في الفرحة وسط المصائب، والأحزان!!

أردد كثيراً - مثل غري - تلك النغمة التي مازالت تعبر صادقة، أو متصنعة، عن الحزن أو الخسرة أو الإحباط أو ماشابه، حين يحل العيد بلا عيد، حين نضطر أن نعيش مظاهر البهجة بلا فرحة، حين تلمع ألوان ملابس الأطفال وهي خاوية من طفولتها، كل هذا الاحتجاج على العيد أو النغمة مع حلوله، أصبح معاداً حتى السخف أحياناً.

أنا مصمم هذه المرة أن أدافع عن "حقنا في الفرحة" برغم كل شيء، العواطف لا تقسم إلى عواطف سلبية وأخرى إيجابية، كل العواطف إيجابية إذا ظهرت في وقتها، ودفعت إلى غايتها، وحقت هدفها. للحزن ما يبرره: الحزن يظهر حين نواجه آلام الواقع، حين نحبط في آمال مشروعة، حين نحرم من حقوق بديهية، وللغضب وظيفته حين يحافظ على كرامتنا، وحين يحمينا من ظلم طاغ، وحين يدفعنا لفعل مغيّر، وللفرحة دورها، حين نكافئ بها أنفسنا على ما حققنا، حين تربط بيننا وبين من يفرح معنا، حين تؤكد لنا أننا على حق، حين تقربنا من الحق تعالى وهو يرضى عنا فنرضى عنه.

العيد هو العيد!! ما رأيكم - برغم كل شيء - أن نتعلم كيف نفرح، برغم كل شيء، نبدأ من الآخر فنقول:

إن من يحرم نفسه من الفرحة اليوم، بادعاء أنه ليس هناك ما يُفرح (وهذه حقيقة) يستأهل ألا يفرح، وهذا هو عقابه الطبيعي! ما رأيكم؟

الشمس تشرق كل يوم، وهذا أمر مفرح، وتغرب كل يوم وهذا أيضاً أمر مفرح، نحن نستنشق هواء مليئاً بالجراثيم والسموم وبخار النفايات، لكننا نستنشقها بالرغم من ذلك، نستنشقها فنعيش حتى لو كانوا لا يريدون لنا أن نعيش ليحدوا من زيادة السكان بأثر رجعي، لو لم يوجد هذا الهواء الملوث

وسط كل هذه المآسى لما استطعت أنا أن أكتب هذا الكلام ولا استطعت أنت أن تقرأه، وربما فرحنا معا لأننا مازلنا أحياء.

بالأمس ضبطت نسمة شاردة منعشة، تتسلل بعد العشاء بساعتين، وهى تخرق عباءة قيظ جائم، فسرقته لى قبل أن تلاحقها الرطوبة فتكتم أنفاسها، ثم أنفاسى معها، ولو أننى لم أنتبه لحق فى هذه النسمة العابرة لجاءت ومضت دون أن أراها، بكاء طفل جارتكم لا يوقظك فقط من النوم، لكنه قد يذكر بك بتشكيلات وتقاسيم بكائك طفلاً، وكيف كنت تستعمله لأغراض بريئة، وأخرى خبيثة طريفة، ثم أنه قد يذكرك بأن النساء مازلن ينجبن أطفالاً ربما يقدرّون على ما عجزنا نحن عنه.

يومك هذا المكون من 24 ساعة، هل تستطيع أن تسرق منها نصف ساعة إلى ثلاث ساعات تمارس فيها حقك فى الفرحة وأنت تخرج لسانك لكل من يحاول أن يجرمك منها. تخرج لسانك للسياسة والبورصة والأسعار وفشلنا فى الأولبياد، وتخبطنا فى الثانوية العامة، وكذب الشركات، وألعاب التآمر، نصف ساعة فقط تقتنصها اقتناصاً ثم تعود تمارس كل حقوقك فى التعاسة، والهمل، والنكد كما تشاء، عندك يا أخى باقى الأربع وعشرين ساعة، اقلبها فيهم غمّاً "كما تشاء" واترك لك، لناء، نصف ساعة فى الأيام العادية، وثلاث ساعات متفرقة كل يوم من أيام العيد.

هل عندك مانع؟

هل سننحل المشاكل إذا أنت حرمت نفسك من هذه الفرحات الصغيرة، القصيرة؟ هل حرمانك نفسك من الفرحة، هو الذى سيحل أزمة المساكن أم سيغير الوزارة أم سيهذب رجال الشرطة أم سيحقق العدل أم سوف يزيح الكابوس الأمريكى الأقذر؟

أنصح نفسى وأصدقائى وصديقاتى المرضى وغير المرضى أن يقيسوا انتماءهم لعملهم وفائدته عليهم بمحكات من أهمها: (1) ماذا يحقق العمل من عائد، (2) ماذا يخرج منه من إنتاج، ثم (3) إذا ما كان يعود بفرحة تشرح صدره أم لا، يعنى ينفج قفصك الصدرى بضعة سنتيمترات فيدخل الهواء أسهل، ويخرج براحته، وأنت عائد من عملك، أو وأنت تذكره.

إذا تحقق ناتج أى عمل على حساب الفرحة فهو اغتراب يتراكم،

وإذا تحققت الفرحة بدون عمل فهى رفاهة رخوة قبيحة.

أنا أدعوك اليوم أن تجمع كل المصائب والمظالم والكذب والظلم والنفاق واللاجدوى والحزب الوطنى والإعلام الغث، تجمعهم جميعاً أمامك الآن، وتخرج لهم لسانك، وقد تكون أكثر جرأة وتلعب حواجبك أو حتى تتمايل رقصاً، وسأسمح لو فعلتها ولو من الوضع جالسا.

إعملها من أجل خاطر العيد ثم قبل يدك وجهاً لظهر، وأنت تفرح ولو ربع ساعة، طيب خلّها ساعة ونصف من أجل خاطرى، وعندك الساعات الباقية من الأربع وعشرين ساعة املاها غماً وهماً كما تشاء، ولذلك ألف مبرر ومبرر.

وكل سنة وأنت فرحان "أحياناً".